التحذير من الشرك

د. أمين بن عبدالله الشقاوي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 27/2/2013 ميلادي - 16/4/1434 هجري

التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [الرعد: 33].

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر، فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو الخوف، أو الذبح، أو النذر، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 116].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: 17].

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65].

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة، ويشركون له في الرخاء، ولم يمنعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا يمنع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: 15، 16].

قال ابن عباس: "إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا، يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أو فيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين"[1].

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31].

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هده الآية، قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحل لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه"[2].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 121].

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك دينًا وشرعًا، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -: "من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله"[3].

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾[البقرة: 165].

قال ابن كثير: "يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي أمثالًا، ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضد له ولا ند"[4].

أما الشرك الأصغر، فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر، فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة، فمثل الحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، وقول لولا الله وفلان، فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه، بل يقول ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال، فهي كثيرة جدًّا، مثل تعليق التمائم خوفًا من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو تريد البلاء بنفسها، فهذا شرك أكبر.

القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 110].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى، فقد أشرك في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته، فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم - عليه السلام - التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقول من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام[5]؛ ا. هـ.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85].

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد - رضي الله عنه - قال: خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أيها الناس إياكم وشرك السرائر"، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: "يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر"[6].

وإنما سُمي الرياء شركًا خفيًّا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله[7].

والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى.

قال الشاعر:

ولا تك بالأعمال يومًا مرائيًا ... فإن الرياء شرك بنص الدلائل

فويل لمن قد كان يعمل بالريا ... بطاعته لله ليس بعامل

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟"[8].

يعني أنه يبطل أعمال المرائين، وأنه يحيلهم على الذين راءَوهم في الدنيا، فيقال: انظروا: هل يثيبونكم؛ أي: أولئك الذين تزينتم عندهم ورائَيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثوابًا؟

هل تجدون عنهم جزاءً على أعمالكم؟![9].

ولله در القائل:

وكل امرئ يومًا سيعرف سعيه إذا حصلت عند الإله الحصائل

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شركًا أصغر، وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

1- إن الشرك الأصغر إذا دخل عملًا فسد ذلك العمل وحبط.

2- إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة كصاحب الكبيرة، بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: 48].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم - عليه السلام - على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: 35].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله -: فلا يأمن من الوقوع في الشرك، إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، مع العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به[10].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[1] تفسير ابن كثير (2/439).

[2] سنن الترمذي برقم (3095)، وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تصريح أحاديث الحلال والحرام (ص 20).

[3] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص 383).

[4] تفسير ابن كثير (1/ 202).

[5] الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص 184).

[6] صحيح ابن خزيمة (2/ 67) برقم (937)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/ 199) برقم (31).

[7] الدين الخالص (2/ 385).

[8] مسند الإمام أحمد (39/39) برقم (23630)، وقال محققوه: حديث حسن.

[9] إصلاح المجتمع ص11.

[10] فتح المجيد (ص 47).